عطلة نصف العام

اليـوم هو بداية عطلـة نصف العـام وتحت إلحاح الأطفـال الصغار والشكوى من عناء المذاكرة، استجاب الأب لطلب أبنائه لزيارة حديقة الحيـوان. وأخذ زوجته وأولاده ومسـتلزمات اليوم مـن طعام وشراب وفاكهةٍ. إلى جانب أدوات الترفيه مثل الكورة والكوتشينة والشطرنجٍ.

ووصل الأب لباب الحديقة، فاكتشف أن إدارة الحديقة قد رفعت رسـوم الدخول إلى جنيهين للفرد الواحد مرة واحدة، فاستجاب الأب مضطرًا، ودفع اثنتا عشرة جنيهًا كاملة رسم دخول الحديقة.

وفي أول لقـاء مع حديقة الحيوان ذهبـوا إلى حديقة البط. فوجدوا بركـة البـط جافـة وخاليـة مـن البط إلا مـن بعـض الريـش المتناثر هنا وهناك.. صُدم الأب، يا إلهي!

أين البط الجميل ذو الريش الملون؟؟

لقد كان منظره يبعث في النفس السرور. كان منظره وهو يغطس في المـاء، ويظهر مرة أخرى، منتفش الريش فرحًا بالماء. بطة تعوم وخلفها بطيطـات صغيرات ذو ريـش زغبى أصفر يتعلموا السـباحة.. لا شيء من ذلك.

ذهـب الأب إلى بيـت الفيـل الإفريقي الضخم فلم يجـده، ووجدوا مكانه نعامة.. يا إلهي!

هل هذا تعبير بسيط عما آل إليه الحال في هذا العصر، الفيل مكانه نعامة؟.

وتساءل الأطفال في غرابة أين الفيل الذى كانوا يركبونه، ويأخذون الصور التذكارية معه، وهم يطعمونه الجزر ويحييهم برفع زلومته؟

ذهبت الأسرة إلى بيت الزرافة، فلم يجدوها، ولم يجدوا حتى الحارس الذى اعتادوا على رؤيته، وهالهم ما رأوا، فقد وجدوا شاهد قبر مكتوب عليه:

«هنا قبر المغفور لها الزرافة الإفريقية. موطنها وسط وغرب إفريقيا، تمـت الوفـاة في الثاني عشر مـن أبريل عام ٢٠٠١ ميلاديـة الموافق الرابع عشر من ربيع الثانى ٤٢٢ هجرية».

استسلم الأب لما آل إليه وضع الزرافة. واتجه مباشرة إلى منزل وحيد القـرن، فوجد مكانه جملًا أصابه الجـرب ومنظره بائس. فظن أنه الجمل الميز ذو السـنامين، ولكنه وجـده جملًا عاديًّا، نأكل لحمـه كثيراً، ونصنع من لحمـه الكفتة، ومنظره مألوف في الأرياف. وكنا ونحن صغار نركبه ونضربه بالعصا، وليس به أي ميزة عن أي حيوان خارج حديقة الحيوان.

المهم سنكمل اليوم لقد دفعنا رسوم جنيهان للفرد. ذهب الأب مباشرة -وحتى لا يصاب الأبناء بالإحباط- إلى أقفاص القرود.

إن منظرها وهى تقفز هنا وهناك يضحك الأطفال. فوجد الأقفاص خالية إلا من قردٍ بائسٍ أو اثنين يتسولون الطعام من الزائرين. فهرع مسرعًا إلى جبلاية القرود، فوجد حالها أسوأ من المباني العشوائية. ووجد القرود يحكوا جلدهم ويعانون من أسوأ الأمراض الجلدية، ويبحثون في التراب عن بعض حبات الفول السودانى التي يقذف بها الأطفال الصغار من وراء ظهور آبائهم. وفزع الأب عندما رأى أحد أبنائه وهو يقذف بإصبع من الموز لقردٍ جائعٍ فتكالب عليه باقى القرود وأكلوه بقشره.

أسرع الأب إلى بيت الأسد لعله يجد شيئًا مختلفًا عند ملك الغابة. وعندما اقترب الأب من بيت الأسد استرق السمع؛ لعله يسمع زئير الأسد الذى كان يهز أرجاء حديقة الحيوان، ويبعث الرعب في نفوس الكبار قبل الصغار. ولكن..

ياللهول! إن الاسود يرقدون في أقفاصهم لا يستطيعون الحراك، وسلسلة ظهورهم بارزة من الهزال والضعف. وحاول الأطفال مداعبة الأسود من بعيد واستفزازهم؛ لعلهم يقفزون في وحشيتهم المعتادة، ولكن الأطفال فوجئوا أن الأسود آثروا السلامة ودخلوا مضاجعهم؛ لينام.

فسأل الأب الحارس الذي كان منظره ليس أفضل من الأسود. سأله عن سر ضعف الأسود. فأخبره الحارس وهو يهمس في أذنه أن السر في تناول الأسود للحوم المجمدة ولحوم الحمير كبيرة السن. طلب

الأطفال أخذ الصور التذكارية بجوار الأسـد فاعتذر الحارس. وتطوع بحمـل الأطفـال فوق كتفـه ليأخذوا الصـور وهم يمتطونـه؛ طمعًا في بعض القروش يقذف بها الأب إليه.

فكر الرجل في الذهاب إلى بيت الضبع. وهل هناك بديل للسبع إلا الضبع؟

ذهب الرجل إلى قفص كبير مكتوب عليه بيت الضبع، موطنه أمريكا اللاتينيـة. وانتظر الرجـل كثيرًا مع أطفاله لعل الضبع يخرج من مخدعه. وبعد أن اسـتهلكت الأسرة كل ما لديهم من الترمس والفشـار أملًا في خروج الضبع، خرج إليهم كلب صغير ينهق بصوت عالٍ. فظن الأب أن الكلب لابد أن تسـلل إلى بيت الضبع في غفلة من الحارس من فتحة في القفـص. ولكن أخبره رجل عجوز من مرتادي الحديقة الإسـبوعي أن الضبع قد مات بسكتة قلبية، ولحقت به زوجته، وأن الكلب قد أنقذ الموقف بعد إلحاح الزوار.

طلـب الأولاد رؤيـة الحـمار الوحـشي والتقـاط الصـور التذكاريـة بجـواره. فكانـت مفاجأة من العيـار الثقيل أن الحـمار الوحشي موجود بالفعـل، لكنـه يكاد يكون أكثر بؤسًـا من الحـمار البلدى، حتـى ألوانه الأبيض والأسـود أصبحـت باهتة، ويعـاني من الجرب الـذى يبدو أنه انتقل إليه من أقفاص القرود، كما انتقل إلى غيره من الحيوانات.

وجـد الأب في الناحية الأخرى لافتة تشـير إلى الماعـز الجبلي. وكان الابـن الأصغر قد ادخر بعض لقيـمات تبقين من و جبة الغداء؛ لإطعام

الماعز الجبلي. وهرع الابن سعيدًا ليستمتع بإطعام الماعز الجبلي، فوجد القليل منه يقف أعلى تلة في البيئة الجبلية الصناعية التي أُعدت لهم، وقد أصابه الاكتئاب وقرونه مكسورة.

هرع الأب إلى الطاووس، فوجد الطاووس واقفًا مزهوًا ببعض ريشات تبقين على جسده وهو ينتفض من البرد.

يا إلهي! إن معظم أقفاص الحيوانات شواهد قبور.

هنا يرقد النمر الهندي.. موطنه شمال الهند هنا.. يرقد الفيل الهندي وموطنه جنوب الهند وسيريلاكا وتايلاند.. هنا يرقد وحيد القرن.. هنا يرقد الدب القطبي هنا يرقد.. هنا يرقد..هنا يرقد..

مر الرجل على أقفاص الطيور الملونة والببغاوات فوجدها خالية. ووجد العصافير العادية التي تسكن الأشجار تخرج وتدخل منها، وبعضها اتخذ أعشاشًا بداخلها.

مر على قفص كبير فوجد لافتة مكتوب عليها النسر الأمريكي. وجده فوق ربوة عالية صنعها مهندس ديكور لتحاكي بيئته الطبيعية. ووجده واقفًا في تكبر وكبرياء وأمامه الطعام والشراب متوفر بكثرة على غير العادة.

ووسط هذا الكابوس وتساؤلات الأطفال وذهول الزوجة، وجد رجلًا يضحك فنظر إليه، فأشار الرجل ناحية لافتة مكتوب عليها بيت فرس النهر..

يا إلهي! إنه سيد قشطة!

رؤيته ستخفف من وطئة الموقف..

ذهبت الأسرة مسرعة إلى فرس النهر فلم يجدوا شيئًا. وأخبرهم الحارس أنه غاطس في الماء وسيظهر حالًا.. طال انتظار الأسرة ومعهم بعض الزوار حتى وقت العصر، ولم يظهر فرس النهر. والحارس يعدهم بظهوره وهو يحمل معه بعض أعواد البرسيم في محاولة لإغرائه بالظهور.

والأولاد ينتظرون وفجأة هلل الجميع.. لقد ظهر فرس النهر..آه ليته لم يظهر لقد بدا شاحبًا عابسًا مكفهر الوجه نحيلًا. وسأل الرجل الحارس عن الحالة المزرية التي بدا عليها فرس النهر. فأخبره أن فرس النهر يعاني من سوء التغذية، ومريض منذ فترة، ويتناول منذ فترة بعض الأدوية التي تبرع بها أهل الخير من العيادات البيطرية القريبة من حديقة الحيوان.

اقترحت الابنة الكبرى الذهاب إلى كلب البحر، وذكرت أبيها بمداعبتهم له منذ سنوات في آخر زيارة لحديقة الحيوان.

فراقت الفكرة للأب، وذهب مباشرة إلى كلب البحر؛ ليصلح ما أفسده فرس النهر. ذهب الجميع إلى البركة التي يسكنها كلب البحر. فوجدوها مليئة بالمياه من بعيد فاستبشروا خيرا، وهرعوا ناحية البركة والحارس واقفًا يفرك ذقنه في حيرة وينظر ساهمًا..

هذه المرة سأله الاب وهو غاضب سؤالًا مباشرًا أين كلب البحر؟ أين ذهب؟.

فأجابه الحارس في حزنٍ، أن كلب البحر أصيب -بهستيريا غريبة- فهو لا يسمع كلام الحارس ولا يطيعه، يرمي له الأسماك يمينًا فيتجه يسارًا، ويتظاهر بأنه يأكل الأسماك برغم عدم وجود شيء، يترك الماء دائمًا حتى تشقق جلده، وكأنه خارجًا من شواية كهربائية ينتظر الموت بين ساعة وأخرى..

إذن لا مناص من الذهاب إلى بحيرة البجع الجميلة وستعوض الأولاد، وسيطعمون البجع السمك ويأخذون الصور التذكارية الجميلة.

آاااه.. صدمة جديدة وليست الأخيرة جفت بحيرة البجع، واختفت الأسماك، ولا وجود للبجع إلا في صورة قديمة معلقة على كازينو قديم بجوار البركة كان يسمى على اسمها كازينو البجعة، وديكورها الجميل أطلال أطلال.

ذهب الأب المسكين إلى مدير الحديقة. وما إن دخل مكتبه حتى قام المدير مسرعًا بإخفاء أقراص من الطعمية وقطعة من الجبن القديمة ورغيف جاف من الخبز..

تحدث الرجل مع مدير الحديقة وحكى له كل ما رآه. اقترح عليه أن يجعل حديقة الحيوان متحفًا مفتوحًا؛ لأن كل الحيوانات قد ماتت.

ورد عليه مدير الحديقة ردًا مؤلمًا وحقيقيًا. لقد تم غلق المتحف ومصادرة كل ما فيه؛ لضعف ميزانية الحديقة. وأنه نفسه لم يتقاض راتبه منذ عدة أشهر، وأن القائمين على إطعام الحيوانات يشركونه في أحيان

كثيرة في طعام الحيوانات الذي يصلح للإنسان. تذكر الرجل قبل خروجه «صغير الحصان» وهو نوع فريد من الخيل. لا يزيد ارتفاعه عن متر تقريبًا، وسيركبه الصغار ويأخذون معه الصور التذكارية. ولكن الحارس اعتذر لهم عن اختفاء هذا النوع وأنه قد انقرض. ومن فرط حرجه عرض على الرجل أن يركب الأطفال حمار يجلس به أحد الأشخاص خارج الحديقة بجوار باب الحديقة الكبير..

وشكره الرجل..

خرج الرجل من الحديقة وهو يفكر..

هذا حال الحيوانات في الحديقة، فكيف بحال ملايين الناس خارج الحديقة. عاد الأب مسرعًا إلى بيته وهو يقلب كفًا بكف..

وصل الرجل مع أولاده إلى منزله، وأدار التليفزيون على أحد القنوات المتخصصة في حياة الحيوان، وأخذ يشاهدها هو وأولاده، وهم يقضمون الجزر والخيار الذي أعدوه لإطعام الحيوانات، والتسلية معهم بينما تجهز زوجته وجبة العشاء..

«أرب ساخر»

.